

العنوان:	قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه وموقف ابن حزم منها
المؤلف الرئيسي:	العتلة، خالد عبدالخالق أحمد
مؤلفين آخرين:	فرج الله، محمد عبدالسميع(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2011
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 242
رقم MD:	866554
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الكلية:	كلية الشيخ نوح القضاة للشريعة والقانون
الدولة:	الأردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفقه الاسلامي، الأحكام الشرعية، القياس الفقهي، الأصول الفقهية، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 1064م. = 456 هـ، العلماء المسلمين
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/866554

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

العتلة، خالد عبدالخالق أحمد، و فرج الله، محمد عبدالسميع. (2011). قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه وموقف ابن حزم منها (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان. مسترجع من <http://866554/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

العتلة، خالد عبدالخالق أحمد، و محمد عبدالسميع فرج الله. "قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه وموقف ابن حزم منها" رسالة دكتوراه. جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2011. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/866554>

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الشيخ نوح القضاة للشريعة والقانون

قسم الفقه وأصوله

قواعد الاستدلال بغير القياس

فيما لا نص فيه

وموقف ابن حزم منها

إعداد

الطالب خالد عبد الخالق أحمد العتلة

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبد السميع فرج الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

تخصص الفقه وأصوله

١٤٣٤هـ - ٢٠١١م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة بعنوان (قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه وموقف ابن حزم منها)، بتاريخ: / / ٢٠٠

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. محمد الغرايبة (رئيساً).

أ. د. عبد الله محمد الصالح البدارنة (عضواً خارجياً).

أ. د. محمد عبد السميع فرج الله (مشرفاً).

د. خلوق ضيف الله الآغا (عضواً).

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي
إلى والدتي رحمها الله
وإلى والدي حفظه الله
اللذين هما سرّ وجودي على هذا الكون ولا أوفيهما حقّهما
وإلى زوجتي وأبنائي
الذين وقفوا معي وكانوا عوناً لي في دراستي
وإلى كلّ مسلم ومسلمة
الحريصين على أن يتعلموا فقه الكتاب والسنة

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وبعد؛
فبعد شكر الله تعالى أولاً وآخرأ، فإنني أتقدّم بالشكر العميم الجزيل لحضرة صاحب
السموّ الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال حفظه الله تعالى والذي كان على رأس هذا
الصرح العلمي الكبير وسار بهذه الجامعة حتى صارت في مصافّ الجامعات الكبرى،
فجعل الله ذلك في ميزان حسناته.

كما أقدم شكري وامتناني إلى عميد كلية (الشيخ نوح القضاة للشرعية والقانون
الجامعية) الأستاذ الدكتور محمد الغرايبة، وهو أحد أساتذتي في هذه الكلية فجزاه الله عني
خير الجزاء.

وكذا أتقدّم بالشكر الوفير، لحضرة الأستاذ الدكتور محمد عبد السميع فرج الله
المشرف على رسالتي؛ لما بذله من جهدٍ كبيرٍ، ونصحٍ صادقٍ، حتى خرجت هذه
الأطروحة في حلّتها التي هي عليه.

وكذا أشكر شكراً جزيلاً لجنة المناقشة الموقرة رئيساً وأعضاءً على تشريفهم لي
بهذا الحضور.

ونهايةً أشكر كلّ من وقف بجانبني وأخذ بيدي ونفعني ولو بكلمة طيبة لإتمام هذه
الأطروحة.

الملخص

تناولت الدراسة موضوع قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه وموقف ابن حزم منها، ومقارنة المصادر التي تفرد بها بكلام غيره من علماء الأصول ومحاولة الترجيح بين المسلكين حسب قواعد الترجيح المعتمدة عند العلماء.

وجاءت في مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

الفصل التمهيدي التعريف بابن حزم: اسمه وكنيته ونسبه ولقبه ومولده ونشأته وصفاته وعلمه ورحلاته ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية، والتعريفات المتعلقة بالبحث. كما تناول الفصل الأول الاستدلال باللفظ فيما لا نصّ خاصاً فيه، وشملت: العموم والاطلاق، ومفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة ودلالة الالتزام.

والفصل الثاني بحث الاستدلال بغير اللفظ فيما لا نصّ فيه، وشمل قياس الشبه والاستصحاب، ثم الخاتمة.

الفهرس

ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير وعرفان
هـ	الملخص
و	الفهرس
١	المقدمة:
٣	أهمية الموضوع:
٣	مشكلة الدراسة:
٤	سبب اختيار الموضوع:
٤	الدراسات السابقة:
٥	منهج البحث:
٧	الفصل التمهيدي: تعريفات البحث
٧	المبحث الأول: التعريف بابن حزم الأندلسي
٧	المطلب الأول: (اسمه وكنيته ونسبه ولقبه ومولده)
٨	المطلب الثاني: (نشأته وصفاته وعلمه ورحلاته):
١١	المطلب الثالث: مكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية:
١٧	المطلب الرابع: بيئته الفكرية وظاهرية وأصوله
٢٥	المطلب الخامس: وفاته رحمه الله تعالى:
٢٦	المبحث الثاني: مصطلحات البحث:
٢٦	المطلب الأول: الاستدلال:
٢٦	الفرع الأول: تعريف الاستدلال في اللغة والاصطلاح:
٢٧	المطلب الثاني: القاعدة:
٢٧	الفرع الأول: تعريف القاعدة في اللغة والاصطلاح:
٢٩	المطلب الثالث: النص:
٢٩	المطلب الرابع: القياس:
٢٩	الفرع الأول: تعريف القياس في اللغة والاصطلاح:

٣٢	الفرع الثاني: حجية القياس
٣٨	المطلب الخامس: التعدية:
٣٨	الفرع الأول: تعريف التعدية في اللغة والاصطلاح:
٣٨	الفرع الثاني: من شروط العلة أن تكون وصفاً متعدياً:
٤٢	الفصل الأول: الاستدلال باللفظ فيما لا نصَّ خاصاً فيه
٤٢	المبحث الأول: العموم
٤٢	المطلب الأول: التعريف بالعموم
٤٣	المطلب الثاني: ينقسم العام من جهة علاقته بالخاص إلى الأقسام التالية:
٤٤	المطلب الثالث: دلالة العام
٤٩	المطلب الرابع: موقف ابن حزم من دلالة العام
٥٢	المطلب الخامس: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بعموم حجية العام
٦٦	المبحث الثاني: المطلق
٦٦	المطلب الأول: تعريف المطلق لغةً واصطلاحاً:
٦٧	المطلب الثاني: حكم المطلق:
٧٤	المطلب الثالث: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية المطلق
٨١	المبحث الثالث: مفهوم الموافقة
٨١	المطلب الأول: بيان معنى مفهوم الموافقة:
٨٣	المطلب الثاني: حجية مفهوم الموافقة عند الجمهور
٨٤	المطلب الثالث: نوع دلالة مفهوم الموافقة على الحكم:
٨٥	المطلب الرابع: إبراز موقف ابن حزم من الدلالة على الأحكام بمقتضى عدم الأخذ بمفهوم الموافقة
٩٤	المطلب الخامس: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية مفهوم الموافقة
١٠٩	المبحث الرابع: مفهوم المخالفة
١٠٩	المطلب الأول: تعريف مفهوم المخالفة لغةً واصطلاحاً:
١١٠	المطلب الثاني: أنواع مفهوم المخالفة:
١١٣	المطلب الثالث: شروط العمل بمفهوم المخالفة:
١١٤	المطلب الرابع: حجية مفهوم المخالفة

المطلب الخامس: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية	
مفهوم المخالفة:	١٢٢
المبحث الخامس: دلالة الالتزام.....	١٤٢
المطلب الأول : معنى الدلالة في اللغة والاصطلاح:	١٤٢
المطلب الثاني: التقسيم الأصولي للدلالة.....	١٤٣
المطلب الرابع: تعريف الالتزام:	١٤٥
المطلب الخامس: دلالة الالتزام عند ابن حزم	١٥٣
المطلب السادس: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية	
دلالة الالتزام:	١٦٣
الفصل الثالث: الاستدلال بغير اللفظ فيما لا نص فيه.....	١٦٦
المبحث الأول: قياس الشبه	١٦٦
المطلب الأول: تحديد مفهوم قياس الشبه	١٦٦
المطلب الثاني: حجية قياس الشبه.....	١٦٩
المطلب الثالث: شروط اعتبار الشبه وأقسامه	١٨٢
المطلب الرابع: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية قياس	
الشبه.....	١٨٣
المبحث الثاني: الاستصحاب	١٩٣
المطلب الأول: تعريف الاستصحاب لغة واصطلاحاً:	١٩٣
المطلب الثاني: حجية الاستصحاب	١٩٧
المطلب الثالث: تطبيقات فقهية تعدى فيها الحكم بناء على القول بحجية	
الاستصحاب:	٢٠٧
الخاتمة	٢١٤
توصيات	٢١٤
المراجع	٢١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛
فالحمد لله الذي فتق العقول، فأنارت الدنيا من بعد الأفول، وأودع في الناس عبقریات لا تنتهي، لتوليد كل ما تشتهي، وإن وزعت القرائح على العباد، فمنها ما حاز ما ينفي التناد.
وبهزج القول لا يغني، ما لم يصرف عنا ما يضني، ولجلج القول مع السلامة، خير من مرصعه مع الندامة.

وإن الله تعالى؛ موقع في القلوب، من يفسر لنا معنى قوله: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾

﴿مِنْهُمْ﴾^(١)، ليخرجونا من كل قول موهم إلى كل أمر معلم.

هذا وإن طرائق الاستنباط كثيرة، مبصرة منيرة، سهلة غير عسيرة، تستوعب العقول، في ميدان الفحول.

ثم إن من الناس من عزف عن الأخذ بما أخذ به عامة العلماء فيما يتعلق بالقياس، فلم يضق عطناً، أن ينحو إلى ما يثري مذهبه بما يوازي ذاك أو يدانيه، دلالة أن الله تعالى قد أودع في العباد ما يجعلهم يهتدون ولا يضلون ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٢).

فكان من هؤلاء الأفذاذ، ابن حزم، من وفر لمذهبه من آلات الاستنباط ما يغنيه عما اشتد نكيره عليه - القياس - فأخذ: بالعام، والإطلاق، والإلحاق، والاستصلاح، ما يعادل في النتيجة، أن الأحكام يمكن تعديتها ونقلها إلى غيرها، بدلالات لغوية أو منطقية، لا تقل أهمية ولا أثراً عن القياس عند الآخرين.

وإن كان هناك من المواضع، ما نجد ابن حزم قد استسلم فيها لحقيقة القياس، بما

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

ينبنيك أنه لا مفر لأهل العلم عن هذا الأصل الأصيل في الاستنباط.

لكن في النهاية فإن الإمام ابن حزم قد أثرى العلم حقيقة، فجزاه الله خيراً.

وإنه مما لا شك فيه أن القياس مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وأنه حجة شرعية، وحقيقة هذا القياس عند جمهور الأصوليين: أنه تعديّة الحكم من الأصل إلى الفرع بعلّة جامعة بينهما.

ولكن هذا لا يعني اقتصار مفهوم التعديّة على القياس فقط، فقد أطلقه العلماء أيضاً على ما يلي:

١- **العمومات:** قال الإمام الجويني: « كالاسم يعمّ في مسميات ويختص بها، فهو في تعديّه إلى مضمونه عام فيه، وفي اختصاصه خاص »^(١).

٢- **الإطلاقات:** قال البخاري: « المطلق ساكت عن القيد غير متعرض له بالنفي ولا بالإثبات، فصار المحل في حق الوصف خالياً عن النص فيجوز تعديّة حكم لوصف فيه »^(٢).

٣- **الإلحاق بالمفهوم (دلالة الدلالة عند الحنفية):** قال البخاري: « فاستقام تعديته، أي تعديّة حكم النص بطريق الدلالة »^(٣).

٤- **ما ثبت بالاستصلاح:** قال الدكتور: عياض السلمي: « والكلام هنا ينبغي أن يقتصر على تعليل يبنى عليه القياس، أو يبنى عليه تعديّة الحكم إلى غير المنصوص عليه بطريق الاستصلاح »^(٤).

هذا وسوف أبين كل ذلك فيما بعد بالتفصيل حسب ما هو وارد في خطة البحث.

(١) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) **التلخيص في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله جولم النيبالي وشبير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ودار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١٢/٢.

(٢) البخاري، عبد العزيز بن أحمد (ت: ٧٣٠هـ)، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، دار الكتاب الإسلامي، ٢٨٨/٢-٢٨٩. وقد ورد ما يدل في كتاب التوضيح: ٢٧٢/١.

(٣) المرجع نفسه: ٢١٦/٢.

(٤) السلمي، عياض بن نامي بن عوض، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١٨٠/١.

أهمية الموضوع:

- ١- دفع شبهة هدم ابن حزم لمصدر من مصادر التشريع ألا وهو القياس، والدفاع المنهجي لابن حزم عن نظريته عبر الواقع والتطبيق.
- ٢- بيان منهج ابن حزم في الاجتهاد فيما لا نص فيه من غير القياس.
- ٣- بيان سعة الفقه الإسلامي بوجود مدارس خارجة عن المؤلف.

مشكلة الدراسة:

- ١- ماذا يفعل الفقيه عند وجود مسألة لا نص فيها وليست قياساً.
- ٢- ما هي مصادر التشريع التي تؤدي مؤدى القياس لكنها تنطلق منه.
- ٣- بما تفرد أبو محمد ابن حزم من المصادر الاجتهادية.
- ٤- كيف عوض ابن حزم الفقه الإسلامي ببدايل للقياس.

سبب اختيار الموضوع:

- ١- وجود همّ علمي لمعرفة طرق الاجتهاد عن طريق الاستدلال فيما لا نصّ فيه بغير القياس.
- ٢- الرغبة في بيان مناهج ابن حزم في الاجتهاد بالاستدلال فيما لا نصّ فيه مما يقوم مقام القياس لمشايعتها له.
- ٣- إثبات أن مدرسة ابن حزم قد غدت الفقه الإسلامي على الرغم من مخالفتها لجمهور الفقهاء.

الدراسات السابقة:

لم أعثّر على دراسات سابقة لفقه ابن حزم تتطرق لدراسة حقيقة منهجه في الاستنباط من بدائل القياس بالرغم من أهمية ذلك ومن الدراسات التي بيديّ عن فقه ابن حزم ما يلي:

- ١- «ابن حزم الظاهري، حياته وفقهه»، للشيخ أبو زهرة. لكن دراسة الشيخ أبو زهرة، كانت في أصول ابن حزم العامة.
- ٢- «مناهج الاجتهاد في الفقه الإسلامي»، للدكتور محمد سلام مدكور، وكانت عامة ومجملّة ونظرية.
- ٣- «داوود بن علي، وأثره في الفقه الإسلامي»، للدكتور عارف أبو عيد، وقد غلب عليها العناية بفقه داوود الظاهري بشكل عام.
- ٤- «الدليل عند الظاهرية»، رسالة قدمها د. نور الدين الخادمي، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الزيتونة بتونس، تكلمت الأطروحة عن أدلة ابن حزم الظاهري عامة، وتختلف هذه الأطروحة التي نحن بصددّها عن أنها تتكلم عن تعدية الحكم عامة سواء لابن حزم أو غيره من الفقهاء ولكنها وضعت تطبيقاتها من فقه ابن حزم.
- ٥- «ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه»، لعبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، وهذا بحث تكلم في أصول ابن حزم العامة في الاجتهاد.
- ٦- «تفسير النصوص في الفقه الإسلامي»، للدكتور محمد أديب الصالح، وقد عنيت ببيان مناهج الاجتهاد عند الفقهاء عامة.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي:

- ١- المنهج الاستقرائي: استقراء قواعد الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه عند علماء الأصول وموقف ابن حزم منها. ثم بيان منهج العلماء في الاستدلال بغير القياس.
- ٢- المنهج التحليلي: عمل دراسة فقهية مقارنة بين مدرسة الجمهور ومدرسة الظاهرية المتمثلة بابن حزم الظاهري في الاستدلال بغير القياس فيما لا نص فيه.
- ٣- المنهج الاستنباطي: بيان الراجح ومآثر كل مدرسة من هذه المدارس واستنتاج نظرية ابن حزم في الاستنباط وبيان الأمور التي تفرد بها، وتقويم منهج ابن حزم في الاستدلال فيما لا نص فيه بغير القياس في ضوء المناهج الاجتهادية للعلماء.

وقسّمت اطروحتي على النحو التالي:
المقدمة.

الفصل الأول: تعريفات البحث، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بابن حزم.

المبحث الثاني: مصطلحات البحث.

الفصل الثاني: الاستدلال باللفظ فيما لا نصّ خاصاً فيه، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: العموم.

المبحث الثاني: الاطلاق.

المبحث الثالث: مفهوم الموافقة.

المبحث الرابع: مفهوم المخالفة.

المبحث الخامس : دلالة الالتزام.

الفصل الثالث الاستدلال بغير اللفظ فيما لا نص فيه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قياس الشبه.

المبحث الثاني: الاستصحاب.

ثم الخاتمة.

وأخيراً أقول.... إنّ هذا الجهد المتواضع، ما هو إلاّ جهد المقلّ، ولا يخرج عن كونه عمل البشر، والنفس البشرية فيها النقص، والكمال لله وحده، والعصمة لرسوله صلى الله عليه وسلّم، فما كان من إحسان وتوفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وحسبي من ذلك أني قدّمت جهدي.

والحمد لله ربّ العالمين

الفصل التمهيدي: تعريفات البحث

المبحث الأول: التعريف بابن حزم الأندلسي

المطلب الأول: (اسمه وكنيته ونسبه ولقبه ومولده)

اسمه وكنيته: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد^(١)، ويكنى بأبي محمد^(٢).

نسبه: والراجح عند المؤرخين أن أصله من فارس^(٣). فجدّه يزيد فارسيّاً، وكان مولى ليزيد بن أبي سفيان، أخ معاوية الذي ولاه أبو بكر إمرة الجيش الذي ذهب لفتح الشام، وخلفاً لما ذهب إليه البعض كأبي مروان بن حيان الذي ذكر أن أصله أعجمي (إسباني، يوناني) وقد فنّد الدكتور أحمد بن ناصر الحمد الآراء القائلة بإسبانيته في ترجمته في كتابه الذي تناول فيه موقف ابن حزم من الإلهيات^(٤)، وهذا ما رجحه الشيخ محمد أبو زهرة^(٥).

لقبه: يلقب بابن حزم الأندلسي، أو ابن حزم الظاهري، وهذا ما نص عليه كثير من العلماء^(٦).

مولده: ولد بقرطبة الأندلسية، في آخر يوم من أيام رمضان، سنة ٣٨٤هـ، وهذا ما

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، طبعة الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٦م، ص ٣٠٨. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، (١٨٤/١٨). ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣/٣٢٥. أبو زهرة، محمد، ابن حزم حياته وعصره - آراءه وفقهه، دار الفكر العربي، مصر ٢٠٠٤م، ص ٢٣.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس: ص ٣٠٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٨.

(٤) الحمد، أحمد بن ناصر، ابن حزم وموقفه من الإلهيات، جامعة أم القرى، ينظر مناقشته ص ١٩-٣١، (رسالة جامعية).

(٥) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ٢٣/١.

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس: ص ٣٠٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٨٤/١٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٣٢٥. أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ص ٢٣.

ذهب إليه أكثر العلماء^(١)، وقيل في سنة ٣٨٣هـ، وهذا ما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء^(٢).

المطلب الثاني: (نشأته وصفاته وعلمه ورحلاته):

الفرع الأول: نشأته: نشأ ابن حزم في رغد من العيش ونعيمه، وأنعم الله عليه بذكاء وقاد، وقريحة سيّالة، كان والده من أعيان قرطبة، شغل منصب الوزارة في الدولة العامرية.

ولكن هذه البيئة المنعمة، المهذبة، وما فيها من سعة الحال ودعة العيش، كانت مع ذلك بيئة الانضباط والعفة، وأريحية المجد التليد^(٣).

ثم توالى المصائب واشتدت المحن على الوزير وأسرته، وتعاقبت عليهم النكبات بتعاقب الخلفاء والحكام. يقول ابن حزم: « ثم انتقل أبي -رحمه الله- من دورنا المحدثه بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة، إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة، ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة. وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة^(٤)، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمر أوجب ذلك. ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحنّا بالاعتقال والترقيب والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت^(٥) الفتنة وألقت باعها وعمّت الناس وخصتنا، إلى أن توفي أبي الوزير ٣/٤ رحمه الله- ونحن في هذه الأحوال »^(٦).

ثم اضطر ابن حزم إلى مغادرة قرطبة بعد دخول البربر، وكان عمره عشرين سنة،

(١) منهم على سبيل المثال: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٨٥/١٨. وابن خلكان، وفيات الأعيان:

٣٢٥/٣. وأبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراءه وفقهه: ص ٢٢.

(٢) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار أحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٢٣٧/١٢.

(٣) الحموي، معجم الأدباء: ٢٣٧/١٢.

(٤) طوق الحمامة لابن حزم: ص ٢٥١.

(٥) أرزمت الفتنة: أي اشتدت، والإرزام هو صوت الرعد، وأرزم الرعد أي اشتد صوته. (انظر: ابن

منظور، لسان العرب ٢٣٨/١٢).

(٦) ابن حزم، طوق الحمامة: ص ٢٥١.

اتجه بعد ذلك إلى المرية^(١)، لكن سرعان ما طرد منها، فقصده بعد ذلك بلنسية^(٢)، واتخذها حاكمها عبد الرحمن الرابع (المرتضى) وزيراً له، وما لبث أن قتل المرتضى، وأسر وزيره ابن حزم، ثم أطلق، فعاد لقرطبة سنة ٤٠٩ هـ. وبنهاية المعتد بالله تنتهي وزارة ابن حزم، وبعدها ترك السياسة التي لم يجن من ورائها إلا المصائب والمحن، فقد انتهت وزارته الأولى بوقوعه في الأسر، والثانية بإطاحة عرش المعتد بالله، وإجلاء بني أمية من قرطبة. فعند ذلك أدرك ابن حزم أن في الإعراض عن السياسة تتحقق الراحة ويحصل الهدوء والاطمئنان، وتفرغ للعلم تدريجاً ومداواةً وتأليفاً وتصنيفاً، إلى أن قضى نحبه^(٣).

الفرع الثاني: صفاته:

تميزت شخصية الإمام ابن حزم بصفات ومواهب كان لها الأثر في نجاحه، منها: قوة الحافظة، والبديهة الحاضرة، التي مكنته من حفظ عدد هائل من الأحاديث وآثار التابعين والصحابة وسير الأولين^(٤)، وكما حاز على صفات كبيرة؛ كالصبر والجلد، والمثابرة، فقد تعرض لمصائب ومحن لم تثنه عن طلب العلم^(٥)، وكذلك الإخلاص والصرامة في الحق، والوفاء كما ذكر ذلك عن نفسه^(٦)، وذكر الشيخ أبو زهرة: أن ابن حزم تميز بالصرامة والحدة^(٧)، حتى أنه فرطت منه عبارات فيها بعض العنف، وذكر الشيخ أن ذلك بسببين: إحراق كتبه من خصومه، ومرض أصابه أورثه الحدة. وذكر البعض أن ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة، سليط اللسان عليهم، حتى قيل في شأنه:

(١) المرية: مدينة كبيرة بالأندلس على الساحل الشرقي فيها مرفأ ومرسى للسفن. (انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م، ١١٩/٥.

(٢) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس تقع شرق قرطبة. معجم البلدان: ٤٩٠/١.

(٣) طوق الحمامة لابن حزم، ص ٢٠٨. وينظر أيضاً الترجمة التي كتبها صلاح الدين القاسمي عن ابن حزم في تحقيقه لكتاب طوق الحمامة، ص ١٨.

(٤) أبو زهرة، ابن حزم: ص ٧٣.

(٥) المرجع السابق: ص ٧٦.

(٦) ابن حزم، طوق الحمامة: ص ١٦٦.

(٧) أبو زهرة، ابن حزم: ص ٧٩.

« كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقتين »^(١).

الفرع الثالث: علمه:

لقد تلقى ابن حزم علومه ومعارفه الأولى في بيته، فقد علمته القرآن النساء من الجواري والقريبات، ويذكر ذلك في طوق الحمامة^(٢) فيقول: « هنّ علمني القرآن، ورويني كثيراً من الأشعار، ودربني على الخط ».

بحكم المعشر والحياة في الأندلس، بدأ ابن حزم بدراسة الفقه المالكي الذي كان سائداً في تلك البلاد، ويذكر الإمام أبو زهرة^(٣) رحمة الله: « أن ابن حزم قال: إن مذهبين انتشرا بقوة السلطان، مذهب أبي حنيفة بالمشرق، ومذهب مالك بالمغرب، وقد قرأ الموطأ على عبد الله بن دحنون، وتابع قراءاته على العديد من علماء عصره.

لقد داوم ابن حزم على حلقات العلم عند مشايخه ومعلميه، ولم يكتف بها بل نهل من المكتبات الموزعة في الأندلس التي تزخر بالنفيس من الكتب.

وعلى درب من سبقه من العلماء والمشايخ كان ابن حزم يقعد في حلقات العلم، وقد عرف عنه علمه باللغة والفقه، وحفظه للحديث، وتصنيفه فيه. وقد قال الحميدي في الجذوة: « كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، ... زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له »^(٤).

الفرع الرابع: تنقله وترحاله:

تنقل ابن حزم في أرجاء الأندلس إما بحكم عمله في السياسة، وما أفضت إليه من رئاسة ووزارة أكثر من مرة، أو منفياً، جاب مدن البلاد مخمداً لفتنة أو فاراً من أخرى تلاحقه، فقد ظل ينتقل من الغرب إلى الشرق. ولعلنا نجد في كتب ابن حزم، وخصوصاً طوق الحمامة ما هو كاف لبيان رحلاته وتنقلاته الطوعية والإجبارية وهي الأكثر التي مر بها، مما خفف وطأة التنقل والمطاردة والتشرد بحبوبة العيش ووفرة المال الذي ورثه

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٢٨/٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٩٩/١٨.

(٢) ابن حزم، طوق الحمامة: ص ١٦٦.

(٣) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ٣٦/١.

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس: ص ٣٠٨.

عن أسرته في وقت كان هذا مصدر غيظ لخصومة السياسيين والعلميين^(١).
ويقول الإمام أبو زهرة: « .. استغنى عن مال السلطان، فلم يأخذه لا لأنه زاهدٌ فيه
أو يعتقد أنه حرام، بل لم يأخذه، لأنه لم يحتجْ إليه. ولعل ذلك الاستغناء كان سبباً من
أسباب الاستعلاء والتسامي، فأثار حقد الأمراء »^(٢).

المطلب الثالث: مكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية:

الفرع الأول: مكانته العلمية:

جاء في نفح الطيب: « قال صاعد في تاريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس
قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسع في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير
والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد »^(٣)،
قال عنه الذهبي: « كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن، وسعة العلم بالكتاب والسنة
والمذاهب، والملل والنحل، والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة،
والحشمة والثروة، وكثرة الكتب »^(٤).

ولكي يتحقق هذا، فإن شخصية ابن حزم ومثابرتة على القراءة والدروس وملازمته
حلقات العلم أكسبته هذه الشخصية المميزة، وواضح أن الله سبحانه وتعالى قد وهبه
حافضة مميزة مكنته من العلم، وكانت السبيل الذي مكنه من السيطرة الفكرية على ما
يقرأ، ومن كرم الله عليه أن حباه بالقدرة على الربط والتحليل والاستنتاج، فقد تعلم عن
آثار التابعين والصحابة لدرجة أنه أصبح حجة في فقههم، واستخراج الأحكام، والبناء
عليها لبناء منهجه الفقهي الخاص. وتؤكد كل الروايات والأخبار على رفعة منزلة ابن
حزم وعلو قامته، وأنه من أكثر علماء الإسلام غزارة في الإنتاج الفكري وتأليف الكتب،

(١) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ص ٣٤-٣٥.

(٢) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ص ٥٧.

(٣) المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر

وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان ١٩٩٧م، ٧٨/٢.

صاعد، طبقات الامم: ص ٧٦.

(٤) الذهبي، سير إعلام النبلاء: ١٨٦/١٨.

وأنه تعامل مع كافة العلوم الإسلامية دراسةً وتحليلاً وحواراً وكتابةً وتأليفاً.^(١)

وقال عنه الذهبي: « وكان ينهض بعلوم جمّة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار »^(٢).

وقال ابن بشكوال في حقّه: « كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار »^(٣).

ومما يدل على غزارة علمه وقوة حفظه، ما قاله أبو حامد الغزالي بشأنه، حيث قال: « وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه »^(٤).

الفرع الخامس: شيوخه:

تلقى ابن حزم علماً أو عظاماً من جلساء أبيه أو العاملين معه في الحكم وإدارة الدولة، كما أن رسائل ابن حزم تبين أنه تلقى علوم الحديث مبكراً، وما أن اشتد عوده حتى لازم أبا الحسين الفاسي المعروف، لأنه عالم عرف عنه الصلاح والزهد في الدنيا، وقد كان مؤدباً ومعلماً، قال عنه ابن حزم: « وما رأيت مثله جملة؛ علماً وعملاً وديناً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً »^(٥)، وكان يصحب ابن حزم إلى حلقات ومجالس العلم، وخصوصاً مجلس أبي القاسم عبد الرحمن الأزدي^(٦)، الذي كان يعلم علوم الحديث

(١) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ص ٦٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٨٧/١٨.

(٣) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، طبعة عزت العطار الحسيني، ١٣٧٤هـ، ص ٣٩٥.

(٤) الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد، (ت: ٥٠٥هـ) المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى، ط مكتبة الجنيدى بالقاهرة تحقيق مصطفى أبو العلى، ص ١٦٤.

(٥) ابن حزم، رسائل ابن حزم: ٢٧٣/١.

(٦) المرجع السابق: ٢٧٣/١.

والنحو واللغة^(١).

وأخذ العلم على الشيخ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري المالكي، قال ابن حزم عن كتابه التمهيد: « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه »^(٢).

ومن شيوخه يحيى بن مسعود بن وجه الجثة، يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي، وحمام بن أحمد القاضي، ومحمد بن سعيد بن نبات، وعبد الله بن ربيع التميمي، وأبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، وأحمد بن قاسم بن أصبغ، وأحمد بن أنس بن عمرو العذري، والقاضي أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن المعافري، وعبد الرحمن بن عبد الله الهمداني، ومحمد بن اسحق.

أما الفقه فقد تلقاه في مجلس عالم الفقه والحديث على عبد الله الأزدي. وقد ذكر الحموي أن إعجاب ابن حزم الشديد بالأزدي لم يكن عبثاً أو مجرد صدفة فقد كان فقيهاً، عالماً بالحديث ورجاله، بارعاً في الأدب وضروبه، وسع علمه الذي تميز به حيث كان من علماء عصره، وتنقل بين المشرق والمغرب، فروى عن عدة شيوخ في المشرق. ومسعود بن سليمان بن مفلت.

بدأ ابن حزم بدراسة الفقه المالكي – الذي هو سائد في الأندلس – وهذا بيّن من المشايخ الذين أخذ عنهم فقد كانوا مالكيين، ومنهم عبد الله بن يحيى بن أحمد ابن دحون^(٣)، ذكر ابن حزم أنه كان عليه مدار الفتيا في قرطبة، وقد يكون قد أخذ كثيراً من علوم الفقه من بطون الكتب إضافة للمشايخ ومجالسهم، وقد كان في الأندلس مشايخ شافعيون، وآخرون يتخيرون من المذاهب الأربعة، وقد درس الفقه المقارن وفقه الأثر، فهو يذكر: « وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، لا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره »، ويضيف: « أن ابن مخلد له مصنف في الحديث، رتب فيه أسماء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين »، وقد أسهب في مدح هذا الكتاب وفضله

(١) ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر نفسه.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس: ١٣١/١.

(٣) طوق الحمامة ص ٢٢٠.

والمنزلة الرفيعة التي يحتلها فهو مصنف ومُسند^(١).

ومن تمام علم ابن حزم، أنه تتلمذ على كتب أعلام مهمين دون أن يخضع لآرائهم، فقد قرأ وتلمذ على يد بقي بن مخلد، وكان متحيزاً لا يتقيد بمذهب من المذاهب، ويدرس أقوال ابن أمية الحجازي، وكان شافعيّاً، وقرأ أقوال منذر بن سعيد وكان له اختيار. هؤلاء إذن، هم شيوخ ابن حزم الذين تلقى عنهم العلم في صغره بقرطبة وبغيرها، وهم من العلماء الأجلاء الذين شهدت كتب التراجم لغزارة علمهم وطول باعهم في مجال العلم والمعرفة، وقد حرص ابن حزم لدى صحبتته لهم واحتكاكه بهم على الأخذ عنهم، والاغتراف من بحر علومهم، والتأدّب بأدبهم، إلى أن صار إماماً وعالماً تُضرب له أكباد الإبل^(٢).

الفرع السادس: تلاميذه:

مكث ابن حزم في الأندلس يبتّ علمه في طلبته وتلاميذه الذين كانوا يغشون مجلسه، ويحضرّون دروسه، ويكثرّون من ملازمته، وهذا على الرغم ممّا عرف به من كثرة مخالفته للعلماء الذين سبقوه أو عاصروه، وأخذ به المذهب الظاهري الذي لم يكن شائعاً بالأندلس من قبل.

وإنه من الصعوبة بمكان إحصاء ومعرفة جميع هؤلاء التلاميذ، ولذا سأقوم بذكر بعض ممّن اشتهر منهم، حيث يقبع على رأسهم وهو أشهرهم على الإطلاق، محمّد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، الذي اتبع ابن حزم في مذهبه الظاهري، وقد وصفه العكري بأنه كان «أحد أوعية العلم»، وأنه «كان دؤوباً على الطلب للعلم كثير الاطلاع ذكياً فطناً صيناً ورعاً إخبارياً متقناً كثير التصانيف حجة ثقة رحمه الله تعالى»^(٣).

ومن تلاميذه ابنه الفضل، ومنهم الإمام الوزير أبو محمد بن العربي، -والد أبي بكر بن العربي المالكي-، وقد درس عليه تقريباً كل مصنفاته، قال: «صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل، وهو من ستة

(١) المقرئ، نفح الطيب: ١٦٨/٣.

(٢) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره: ص ٣٦.

(٣) العكري، شذرات الذهب: ٣٩٢/٣.

مجلدات، وقرأنا عليه من كتاب الإيصال أربعة مجلدات في سنة ست وخمسين وأربعمائة، وهو أربعة وعشرون مجلداً ولي منه إجازة غير مرة^(١).

وممن سمع عليه أيضاً محمد بن الوليد الفهري، وعبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بريال الأنصاري.

هؤلاء هم بعض تلاميذ ابن حزم الذين سمعوا منه، وأخذوا عنه العلم، ذكرتهم على سبيل المثال لا الحصر لإعطاء صورة عمّن أخذوا العلم عن هذا العالم الفذ.

الفرع السابع: آثاره العلمية:

لابن حزم مؤلفات كثيرة جدا في جميع العلوم في الفقه وأصوله والحديث وعلومه، وفي الملل والنحل والمنطق والفلسفة والتاريخ والشعر والأدب وغيرها من العلوم المعروفة في زمنه، حتى قال ابنه أبو رافع: اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة^(٢).

نذكر منها على سبيل المثال:

- الإحكام في أصول الأحكام: وهو كتاب في أصول مذهبه
- طوق الحمامة في الألف والآلاف.
- الفصل في الملل والنحل.
- جوامع السيرة.
- إبطال القياس، والرأي والاستحسان والتقليد.
- مراتب الإجماع.
- الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، خمسة عشر ألف ورقة.
- المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار، ثمان مجلدات.
- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها، عشرة آلاف ورقة، لكن لم يتمه.
- الجامع في صحيح الحديث، بلا أسانيد.

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير

والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ٤١١/٣٠.

(٢) المقرئ، نفح الطيب: ٨٣/٢.

- التلخيص والتخليص في المسائل النظرية.
- اختلاف الفقهاء الخمسة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وداود.
- التصفح في الفقه، مجلد.
- التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين، ثلاثة كراريس.
- الإملاء في شرح الموطأ، ألف ورقة.
- الإملاء في قواعد الفقه، ألف ورقة أيضاً.
- در القواعد في فقه الظاهرية، ألف ورقة أيضاً.
- مختصر في علل الحديث، مجلد.
- التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية، مجلد.
- الاستجلاب، مجلد.
- وغيرها من المؤلفات .